حيدرا

د/ مصطفى سيف الدين

جيدالا

الكاتب

د/ مصطفى سيف الدين

لوحة الغلاف

Walking in the air by RedMorpho

إلى من قال لي يوما ...

يا بني لا تقلد أحدا بل كن أنت كما أنت

إلى والدي رحمه الله

تقديم

الخيال ، كلمة تحوي عالما ليس موجودا إلا داخل الأرواح ، هكذا كنا نظن ، لكننا نكتشف دائما أن في الحياة ما هو أكثر لا منطقية من الخيال .

ففي لحظة من اللحظات قد يعتريك شعور بالجنون برؤية ما لا تفهم و ما لا تصدق ، و تحاول الفهم دون جدوى .

محاولة فهم طبيعة الحياة هي محاولة تبوء بالفشل دوما .

لذا نطرق أبواب عالم الخيال حتى نجد ما يشفي غليلنا و يفهمنا حقيقة الحياة .

و من هذا المنطلق كان ذلك الكتاب الذي يحوي قصتين هما (جيدالا ، مين)

جيدالا قد تجدها قصة تهتم بالخيال العلمي لكنني أراها واقعية و تحدث بالفعل دائما

أما مين فهي قصة تتناول إسطورة فرعونية و بالرغم أنها اسطورة فإن (مين) بداخل كل منا ، حتى لا أطيل عليكم

أدعكم مع قراءة هاتين القصتين آملا أن تنالا رضاكم و أن تستمتعوا بقراءتهما

مصطفى سيف الدين

جيدالا

جيدالا . . . يا أخت الشمس الزرقاء حين تتهادى أشعتها على البحر الأصفر الصافي فتحيل ظلمة القلوب الى نهار ساطع

جيدالا . . . . أتدرين كم أعشقك ؟ أعشقك كلما نما برعم لزهرة الجالو في حديقة منزلنا بل بعدد حبات ثمرة الساجول التي نثرناها بالأمس لنشهدها عشقنا

جيدالا . . أعشقك بل أذوب فيكِ عشقا

***

لم أدرِ أن الملل يصيب القلوب ، ولم أخبر أن الحياة تمر سريعا لتنتقل بنا بين محطاتها المختلفة هكذا ، لتتشابه كل المحطات كأنها محطة واحدة. يقتلني ذلك

الإحساس المريع وهو أنك تحيا ذلك اليوم كأنك عشته من قبل بل تعيشه في كل وقت ، نفس الوجوه نفس العبارات بل نفس الإنطباع الذي يخرج مني ، كان يقتلني ذلك الشعور وأنا أراقب أوراق الشجر وهي تتساقط في خريف قاني يحمل الكثير والكثير من الغبار ، ليحيل الحياة إلى صورة غير واضحة المعالم ، كل ذلك كان منحوتا على معالمي وأنا جالس معها أتناول العشاء كان شهيا كالعادة فهي ماهرة في الطهي . . كالعادة نظراتها لي تحمل الكثير من الوجد والترقب كأنها تنتظر مني كلمة إعجاب أو ثناء على ما تبذل ، ربما لأننا لم ننجب طوال فترة زواجنا

الطويلة فهي تشعر بأنها مقصرة وأن الذنب يطاردها لأنها لم تستطع ان تمنحني ابنا .

لم يكن ذلك يؤرقني كثيرا أو يشعرني بأنها مقصرة ، فأنا أعلم كيف تبذل قصارى جهدها كي تستخلص من روحها ما تظن أن فيه إسعادي ، وكنت ممتنا جدا لها ولما تفعل من أجلي .

كم أنتِ رائعة يا سوسن . . تماما كإسمك ، جميلة المظهر و تحملين بداخلك عطر الحياة .

لكنني في ذلك اليوم قتلني شعوري الدائم بالملل وتعاقب الليل والنهار دون أن أعلم أيهم الليل و أيهم النهار . . لذلك لم أتجاوب مع إستجداء نظراتها ، و لم تنبس

شفتي بحرف ، كان عشاء صامتا بل كان عشاء قاتلا بالنسبة لها .

ولم أكن أعلم مدى جرم ما اقترفت وقتها وهي تشعر بحسرة و ألم تنوء بهما الجبال كم أنت قاسي أيها الإنسان حين تعرف أنك تملك من تعشق ، حين تعرف أنك مهما صنعت فلن يتركك ، لذلك تتمادى في فرض السيطرة .. يا لك من وغد

***

جيدالا . . . أيتها الروعة المتناهية كأنها صنعت من جمال الخير او من خير الجمال

جيدالا . . . تتوارى لوحات المبدعين خجلا كلما

تظهرين لهم فأنتِ يا سيدتي أروع لوحة بين اللوحات

جيدالا . . . كم أعشقك بل أذوب فيكِ عشقا

***

فاجئني صديقي العزيز محسن حين أخبرني أنه أيضا يشعر بملل قاتل ، ويريد أن يصنع شيئا جديدا أو يقوم بعمل لم يقم به من قبل كي يكسر روتين الحياة ، فاقترح أن نقوم سويا برحلة سافاري في الصحراء ننعزل عن كل شيء إجازة طويلة عن الحياة .

أن نأخذ وقتا مستقطعا مع الروتين اليومي كي نكسر شوكته التي أدمت أرواحنا بألم عظيم .

وكما فاجئني هو ، فقد فاجئته أنا بموافقة سريعة دون

تفكير وبجزم شديد ، وكلمات تحمل آخر ما تبقى بداخلي من تفاؤل في امكانية إنقاذ ما تبقى لدي من الحياة بعد أن كنت شبه ميت

اتفقنا على ميعاد الإجازة و اتفقنا ان تكون الإجازة لمدة اسبوع و أعددنا العدة وقمنا بشراء ما يلزمنا وما نحتاجه في صحراء رحيبة لا تحوي إلا الجفاف وبعض من وحوش الليل التي تأكل ما تبقى من نهار مؤرق و مرهق ، أحضرنا الخيام والطعام و العصائر وكميات الماء ولم ننس أدوات الصيد والطهي ، كما حملنا معنا قلوبا مضطربة تخشى المغامرة وترهبها لكنها تصر عليها لأنها آخر أمل وحلم في أن تعود لنبضها كما

كانت .

وانطلقت بنا السيارة نحو الكون الفسيح للهرب عبر فتحة في حجم سم الخياط نحو السعادة .

وبعد أن قضينا وقتا طويلا لنختار موقعا نقيم فيه وجدنا أنفسنا توغلنا كثيرا داخل الصحراء ، لنقف فجأة ونبدأ في إنشاء الخيام دون أن نعرف لماذا اخترنا ذلك المكان بعينه ، لكنها الحياة دوما تختار أشياء دون أن تعلم ماذا تعني لك وإلى أين ستودي بك .

كان المكان ساحرا بحق لون الرمال الأصفر يتلاقى مع السماء الزرقاء في لوحة بديعة . إنها الطبيعة التي تحمل سر الأسرار حين تضيع منك الحياة فإنها

الوحيدة القادرة على إعادتها لك ، فهي حياة لا نهائية وهي نبع كل حياة.

لذلك أبهرني المكان و أبهرتني التجربة الجديدة ، أن تأكل مما تصطاد و أن تبحث عن فريسة يوميا كي تفسح لغرائزك البشرية المجال ، حتى تنفس بعضا من كبتها حينها لن تقتلك بشعورها الدائم من الملل كان هذا ما تعلمته من تجربتي في أول يومين .

***

جيدالا . . . يا روح الحياة المتوارية خلف التلال الشاهقة، فعلى من يبحث عن الحقيقة ان يعاني كي يصل اليكِ

جيدالا . . . يا طائر التولو حين يغرد في ليلة ظلماء

فيخرج النور من فمه و يعيد لليل سحره وللحياة ضياؤها

جيدالا . . . كم أعشقك بل أذوب فيكِ عشقا

***

في تلك الليلة كان القمر ساطعا لتتناثر أشعته على رمال الصحراء فتعكس ما بداخلها من روعة ، كأنها تستجدينا كي نستكشف أماكن جديدة في الصحراء المترامية ، لذلك تركنا أقدامنا تقودنا إلى لا شيء فقط نسير وننظر حولنا حتى رأينا كأن مشاعل نور على مرمى بصرنا ، فقررنا الاقتراب قليلا ولا ندري لماذا قررنا ان نقترب خلسة ربما لأن ذلك المشهد غريب ، و ربما هي غريزة الحذر التي بداخل كل

انسان لم نقف طويلا عند تفسير ذلك الحذر لكننا اقتربنا ببطء و خلسة لنرى المشهد المهيب ،عشرات من الرجال يجلسون راكعين على أقدامهم وسيارات عديدة في ذلك المكان الخالي من البشر و بينما نمعن النظر رأيناه ليزيد ما بداخلنا من خوف وهلع .

كان رجلا مهيبا حاد الملامح ، لم يكن ذلك ليرعبنا ، لكن ما أرعبنا حقا انه كان يمشي في الهواء فوق الرءوس دون أن يلمسها لم ينجذب قط للأرض كأنه مخلوق من الهيليوم .

كان صوته عاليا وهو يخطب في الجمع ، كان يقول :

-حين يخرج السيد من مكمنه فعلى الجميع الانحناء ،

فالسيد هو الوحيد القادر على المرور فوق الرءوس دون أن يصيبها . السيد هو الوحيد المتحرر في ذلك الكوكب من قيوده الحمقاء . من يستطيع أن يرفع عينيه عاليا في حضرة السيد

يهتف الجميع : لا أحد

-من يستطيع ان يعصي أمرا للسيد

-لا أحد

-من يستطيع أن يلمس السحاب بأنامله ويمسك بطيور السماء غير السيد

-لا أحد

إن أردتم التحرر من كل قيد فعليكم اتباع السيد ،

وأن تنفذوا ما يأمركم به فهو يعلم جيدا كيف يمكن أن يجعل لحياتكم مسارا أفضل

-سمعا وطاعة أيها السيد

كانت نظراتي المرتعبة تراقب المشهد ، وتنظر بين الحين والآخر لمحسن الذي لم يكن أقل مني ذهولا و رعبا ، وهو يشاهد ذلك الشخص الذي تحدى الطبيعة ولم ينجذب للأرض وكيف أن أتباعه ينفذون كل ما يقول دون تفكير .

في لحظة ما قررنا الفرار من حالة الرعب، والركض نحو مخيمنا قبل ان ينكشف أمرنا لكننا وجدناه يقف أمامنا ، وربما فوقنا إذا جاز التعبير فهو أمامنا لكن

أقدامه ليست على الأرض كأنه معلق بين السماء

والأرض

***

جيدالا . . . . ما أروعك ، حين كنتِ تطهين جذور

الماليتجا كنتِ تقطعينها برشاقة روسانجو يافعة ،

فتنساب من بين أصابعك الحياة لتختلط روحك

الوضاءة بالماليتجا ، كي تصبح وجبة نورانية تحمل

طعم الفردوس و عبق الخلود

جيدالا . . . ستظلين خالدة ما بقي الخلود

جيدالا . . . . كم أعشقك بل أذوب فيكِ عشقا

***

كان ذلك الشخص ينظر لمحسن نظرة عميقة

أحسست بذلك حين رأيت محسن يتساقط على

ركبتيه قائلا :

-طوع أمرك أيها السيد

محسن في لحظة واحدة فقد عقله و أصبح مسلوب

الإرادة كأنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي .

ذلك الخاطر حين جال بي قررت ألا انظر لعيني ذلك

الكائن أبدا . . كاد الفضول يقتلني كي أعرف ماذا

تخبىء تلك العينين ، وأي بئر سحيق تحوي ، لكن

خوفي ورعبي كانا أكبر من فضولي

-أتدري أنك أول كائن على ذلك الكوكب قرر

مقاومتي (هكذا قال السيد)

-بل قل الأكثر جبنا ، فأنا الوحيد الذي يخاف ما يقع خلف عينيك

ضحك الكائن بسخرية قاتلة

-يبدو انني سأستمتع كثيرا بروحك المرحة، لذلك سأعفيك ان تكون من أتباعي ربما ذلك جيد بالنسبة لك وربما ليس جيدا ، ففي النهاية يجب ان أقتلك ان لم تكن تابعي .

أجبته وانا أنظر لأسفل أتجنب النظر إليه :

-لن يفرق كثيرا القتل عن اتباعك ، بل انني أفضل أن أموت على ان أكون خاضعا لمخلوق لا أدري

مايخفيه

بعد جملتي هذه لم أشعر بشيء فقط سقطت فاقدا للوعي اثر ضربة على رأسي

فتحت عيني لأجد نفسي وأنا لست مقيدا في قاعة ضخمة تحوي

أجهزة عديدة و شاشات ضخمة والغريب ان كل هذه الأجهزة لم تكن تلمس الأرض كانت تقاوم الجاذبية برشاقة اما المبنى فهو من الواضح أنه مبنى قديم واسع ورحيب وسقفه شاهق الارتفاع يبدو كأنه كامب قديم للجيش لا يتم استعماله الآن . فجأة تعالى صوت أزيز من إحدى الأجهزة ، حينها دخل

الشخص المريب القاعة وهو يمشي على الهواء بانسيابية كان يأكل شيئا ما نظر لي وعرف انني قد عدت لرشدي فقال لي : هل تريد أن تأكل ؟ عندي بعض شيالا متبقية قطعا لا تعرف الشيالا ولن ارهقك بوصفي لها ...

لم أجبه ولم أنظر في اتجاهه مخافة ألا أكبح جماح عيني فتتلاقى بعينيه ، فقط صمتت ونظرت في اتجاهات مختلفة دون النظر اليه ، توجه الكائن نحو الجهاز وبدأ يضغط على أزراره كمن يرسل رسالة عبره، وتعمد ان يتكلم بلغتي التي أفهمها كي يسمعني الحديث وهذا ما أصابني بالرعب ، فمادام سيطلعني على اسراره

بالتأكيد يقتل آخر آمالي في أن اخرج من هنا حيا -سيدروك معك يا سيدي . تتم العملية كما خططنا لها فأجهزتنا تنجح في رفع درجات الحرارة عن معدلها وزيادة كمية البخر وطرد البخر عن المجال الجوي . التجربة في طريقها للنجاح يا سيدي وعند اتمام نجاحها سنقوم بذلك العمل على نطاق أوسع . أفكار عديدة جالت بخاطري من يكون ذلك الرجل وأية أجهزة تلك التي تصنع ارتفاعا في الحرارة يعقبه عملية البخر ولماذا يصنعون كل ذلك

نظر نحوي ثم قال : لا ترهق نفسك بالتفكير فلن تفهم شيئا فنحن لنا عقول تسبقكم بكثير ولن تعي ما نقول

حتى نوضح لك

-من أنتم؟

-أحقا تريد أن تعرف؟ هل أخيرا انتصر بداخلك الكائن الفضولي على صوت العقل؟ حسنا سأخبرك . . . نحن لسنا أرضيين نحن من كوكب يبعد العديد والعديد من السنين الضوئية عن كوكبكم نسميه سانترو . . . هو يختلف كثيرا عن كوكبكم في ان قوة جاذبيته اكبر كثيرا من جاذبية الأرض الضعيفة . . تماما الأرض بالنسبة لسانترو كقمركم بالنسبة لكم ، فان كنت تتعجب من أنني أسير على الهواء فبالتأكيد القمريون تعجبوا حين رأوا روادكم . . . سانترو كان

كوكبا رائعا له شمس زرقاء وبحار صفراء وحياة تحوي الجمال . . . سانترو يحتوينا ويضمنا ويجذبنا اليه ، كم هي قوية جاذبيته ، لكن فجأة خرج سانترو عن مداره حول الشمس الزرقاء لتبدأ الكوارث، و استطاع العديد منا النجاة عبر مركبات فضائية التي كانت منتشرة في كوكبنا كما تنتشر السيارات لديكم ، وهرعنا بالبحث عن كوكب جديد يحتوينا كما كان يفعل سانترو . . . وجدنا أخيرا كوكبا يصلح لنا لكن للأسف انه يفتقر للماء لذلك بحثنا عن غيره حتى وجدنا الأرض التي فيها الماء ، ولكن كوكبكم جاذبيته ضعيفة . . يطرد فقط ولا يجذب اليه أحد

منا لذلك قررنا ان نحيا في الكوكب الآخر بماء الارض ، فقمنا بعمل تجربة صغيرة نرفع عن طريق أجهزتنا حرارة الأرض فتتبخر مياه البحار وبوسيلة ما عبر أجهزتنا المتطورة نجذب البخار خارج غلافكم الجوي لتستقبله مخازن في مراكبنا الفضائية التي تحيط بالأرض الآن فتضغط البخار بداخلها وتحمله للكوكب الآخر . ربما لم تسئل نفسك من قبل لماذا ارتفعت الحرارة في الارض لأنك تظن انه بسبب الاحتباس الحراري نعم الاحتباس ساعدنا كثيرا لكن نحن الاساس وربما لم تسئل نفسك لماذا مع ذلك الارتفاع تقل الأمطار وتجف الأنهار ؟ الأجابة هي فقط ما قلته

-لكن ذلك جنون انتم تسرقونا ثم كيف يصلح ماء الأرض في غير كوكبها

-هذا ما نقوم عليه الآن ، وهي كيفية ملائمة الماء للكوكب الآخر وبالتأكيد سنتوصل الى ذلك أتدري لماذا قلت لك ذلك ؟ كي أثبت لك أنكم ضعفاء جهلة أغبياء تُسرقون ويتم سلب عقولكم دون مقاومة أو بمقاومة الجهلاء الحماسية التي تنسى كيف تؤمن دفاعاتها أنت فقط من قاوم النظر الى عيني أما هؤلاء الأتباع فهم من رأوني أسير في الهواء لذلك كان يجب أن أسلبهم ذاكرتهم و عقولهم من أجلي و أرسل الى عقولهم اشارات كي نجتمع كل ليلة قمرية حتى إن

فضح أمري وجدت من يساعدني

أفزعتني الحقيقة وأصابتني برعب مضاعف ان هذا الرجل لا يوضع في خانة الأخيار بالمرة أنا أجلس الأن في حضرة قاتل وبالتأكيد لن أعود ، وحتى ان هربت منه فمحسن صديقي الآن أحد أتباعه ومنه يستطيع الوصول اليَّ ، ما أصابني أكثر بالقلق هو أنني ربما لن أرى سوسن مرة أخرى

-هل لي بسؤال؟ ماذا تنقل تلك الشاشات؟

-انها تنقل أي مكان يخطر ببالك على ذلك الكوكب

-أيمكنني أن أطلب منك طلبا ؟

-ماذا تريد ؟

– أريد أن أرى زوجتي

ضحك بسخرية وقال : ولماذا تريد ذلك ؟ هل هو الحنين أم الشوق إنني أتعجب أيها الأرضيين من كوكبكم المائي الذي لم يستطع أن يطغى على قلوبكم الجافة سأقول لك لماذا تريد أن تراها انك تريد أن تعرف ماذا تفعل هي الآن و مع من تخونك . . . انه غرور الأرضي

-و ما شأنك بذلك؟ حقق لي ما طلبت كما وعدتني

-حسنا لك هذا

بعد لحظات كانت إحدى الشاشات الضخمة تعرض صورة لزوجتي سوسن كان الحزن يحدد ملامحها ويصيغه في لوحة صارخة من البكاء . . . كانت تحمل وسادة بين ذراعيها وتقبلها ثم ترفعها عاليا كانت تنطق بإسمي وترسل رسائل الشوق كانت تقول للوسادة : لم أعهدك قاسيا هكذا كيف سمحت لنفسك أن ترحل وأن تغيب كل ذلك الغياب ؟ بالتأكيد هي مسألة الانجاب أعرف أنك تحب الأطفال لكنني أنثى و أعشق أن أصبح أما . . تلمس أنامل طفلها اللينة لتمنحه الدفء و الحياة . . ارحمني

يا طفلي الأكبر فأنا لا أتحمل عذابين في قلب واحد

. . ضمني بذراعيك وانقذني من هواجسي التي

تكاد تقتلني . . . .عد اليَّ سريعا قبل أن يأخذني

الجنون الى ما لاتحمد عقباه

ثم ضمت الوسادة بقوة أكبر قبل أن تتساقط بجوارها

على الأرض بينما أنا لم استطع أن أمنع دموعي

تنساب بقوة على وجنتي وأنا أتابع حبات اللؤلؤ التي

تذرفها عيناها . . . تلك العينان التي شهدتا غرقي

سنينا طوال ولم أبغي منهما انقاذ . . تلك العينان التي

أسلمت لهما أمري ووضعت فيهما سري الآن كنت

أنا من تسبب في نزفهما بالدموع . . . أي عار

يعتريك .

أما ذلك الكائن فقد توجه نحوي صارخا : ماذا فعلت بها يا هذا حتى تصل بها الى ذلك الألم المجنون ؟

-و ما شأنك أنت ؟ وما يدريك بعالم الأرواح و أنت سارق قاتل تستمتع بتعذيب أسراك

-ما شأني ؟ بل أنت صرت شأني

-حسنا أيها الكائن الغريب الآن أنا أستسلم لك وسأنظر الى عينيك لأصير أحد أتباعك فعيني الآن لا تهابك فهي تذكرت أنها أسلمت أمرها من قبل لعينين غير عينيك ولن يضيرها من أمرها شيء ان نظرت

اليك

-بهذه البساطة ، استسلمت؟ وتركت تلك الأنثى البريئة لأحزانها ؟ حقا انها الأرض الكوكب المائي ذات القلب الجاف

-وماذا يمكنني أن أفعل ؟ و أنت تملك كل الأمر

اتجه نحو اجهزته و قام بمداعبة بعض الأزرار قبل أن يقول :

-حسنا . . سأقول لك ماذا تفعل . . . انظر إلى عيني

***

جيدالا . . . . يا روح الطهارة وطهارة الروح

جيدالا . . . يا قلب الحياة الباعث للحياة في عروقي

الرافضة ان يمسها دماء غير دمائك . . . خضراء

أنتِ كدمائي . . . سر اصراري على الحياة هو

ادماني لأن تصيري بداخلي . . أعشقني حين اراكِ

فيَّ

جيدالا . . . كم أعشقك بل أذوب فيكِ عشقا

***

زخات المطر في الخارج هي آخر ما سمعت قبل أن

أستسلم وأنظر الى عينيه وأنتظر أن أصبح مجرد دمية

أخرى تضاف الى مجموعته . . . . لكن ما ان تلاقت

العيون حتى رأيت شيئا غريبا لم يكن يسلبني ما بداخلي بل كان يرسل لي ما بداخله فأراه كأنه شريطا سينمائيا متتابعا سريعا

كائن أزرق اللون غريب المظهر يجلس مع كائن يشبهه لكنه أكثر رقة . .كان الكائن الاول هو سيدروك أسمعه يخاطب الآخر قائلا:

جيدالا ايتها الشمس الباهرة يا من تحمل معها بسمات سانترو كم أعشقك

أراها تبتسم وهي تقول : ليس كما أعشقك ياسيدروك يا من صنعت مني أسطورة العشق السعيد .

يمر الشريط بالعديد من الذكريات سانترو يخرج عن مداره سيدروك وجيدالا جالسين في حديقة غناء حيث الاشجار ذات الأوراق الحمراء وطيور التولو تعزف أحلى الألحان وبينما اللوحة تزداد جمالا حتى تصبح كلها زرقاء انه وجه جيدالا الرائع وهو يسقط فوق وجه سيدروك وتحيطه مع صوت قطرات المطر لكن جيدالا تحاول احتواء جسد سيدروك بالكامل كي تمنع وصول الأمطار إليه . . نعم لقد اخترق مجال سانترو عاصفة غازية تحول بين السحاب وسانترو فتجعل قطرات الأمطار تذيب بشرة أهل سانترو تساقطت الأمطار كالحمم النارية فوق سطحه بل فوق

جسد جيدالا الرائع وهي تحتضن سيدروك كانت أول من شعرت بخطورة المطر ، هكذا دوما جيدالا تثق في مشاعرها وكانت آخر ما قالت جيدالا : كم أعشقك يا سيدروك ، لا تستسلم للموت يا عمري ولا تجعل موتي من أجلك بلا معنى فأنا سأعيش ما دمت أنت حيا فأنا بداخلك ...

توقفت الأمطار الحامضية مخلفة ورائها جسد سيدروك المشوه من أثر الأمطار القليلة التي وصلت له . . . كما خلفت أيضا بقايا كائن حي لا يفهم معنى لوجوده بعد أن رحلت روحه إلا وصيتها الأخيرة . . . لذلك كان يجب عليه مساعدة بني جنسه

والقيام بواجبه فهو لن يستسلم أبدا لأنها أوصته بذلك

...

انطلق مئات السنوات الضوئية وعبر العديد والعديد من المجرات مع من بقي من بني جنسه بحثا عن كوكب يستطيعون الحياة به حتى وجدوا الأرض . . الهواء في الأرض جيد يستطيعون التأقلم معه تبقى مشكلة الجاذبية وتوصلوا لحل نظري عبر وضع مجال كهرومغناطيسي في مركز الأرض و مازال ذلك الحل محل دراسة . . أما المشكلة العظمى فهي الماء . . . نعم انه الماء فبعد ان أصابت الأمطار الحامضية كل الناجين بتشوهات خطيرة صارت أماكن الحروق لا تقاوم الماء في صفته السائلة فيمر الى الجسد مباشرة

مما يؤدي الى وفاة فورية . . . صار الماء- سر الحياة- قاتلهم لذلك قاموا بكل تجاربهم من أجل ان يصيب الأرض الجفاف حتى يستطيعوا الحياة بها اما عن بخار الماء نفسه فهو غير ضار بالنسبة لهم المشكلة فقط في سيولته ، كما يقتلنا الثلج ان اشتدت برودته يقتلهم الماء ان مر الى أجسادهم عن طريق مناطق الحروق

-لكن يا سيدي هكذا نقضي على من يعيشون على ذلك الكوكب . . . نحن أرقى من أن نبني حضارتنا على الهمجية وقتل الغير

-سيدروك ، أيها الطيب لقد أرسلت مندوبنا

لندرس تاريخهم انهم أشبه بحيوانات كاليو في بحثهم الدائم عن الفرائس لقد درست تاريخهم جيدا فيهم الأقوى يقتل الضعيف لا يحتكمون إلا لقانون واحد هو قانون الغاب صدقني ما سنفعله بالأرض هو أن نعيد لها الحياة الحقيقية التي كانت تدور حول شمسها من أجلها لا يغرنك ذلك الكوكب أنه مائي بل هو يحمل بين ذرات ترابه الجفاف .

تلاحقت مشاهد الشريط السينمائي الذي ينتقل الى عيني مباشرة من عينيه حتى وصلت الى نفسي أراني جالسا وهو يقوم بكتابة رسالته الى رئيسه كأنه يعلمني كيف أرسل لهم رسالة ما بل كأنه يعلمني لغتهم . . .

لماذا يفعل ذلك؟

لقطة أخرى و هو يقوم بالضغط على أزرار معينة وهو يقول حسنا سأقول لك ماذا تفعل . . . انظر الى عيني

أغلق عينيه كي تتوقف المشاهد المتلاحقة و تخلف في عقلي الكثير و الكثير من التساؤلات انهم ليسوا بسارقين فقط كما ظننت بل هم أيضا قتلة أتوا ليبيدوا البشر تحت شعار البقاء للأقوى ويتهمونا نحن بالهمجية يا لهم من أوغاد أما عن جيدالا فكان لغزا لم أفهمه وهو أكثر ما يثير دهشتي كيف لوغد مثل ذلك الكائن ان يحمل كل تلك المشاعر .

زخات المطر تزداد يبدو أنها ليلة عاصفة كيف ذلك ، والسماء كانت صافية منذ فترة وجيزة أشياء كثيرة تثير دهشتي ذلك المساء، لكن أكثر ما فاجئني هو ان سيدروك انطلق يعدو نحو باب الكامب في ذلك الجو الممطر

لم أفهم لبرهة لماذا يفعل ذلك الى ان توصلت الى الحقيقة ان مداعبته للأزرار لم تكن الا لإستثارة المطر من مخازنهم التي يحتفظون فيها بالبخار، الآن هو يرد للأرض ما سلبه منها ، لكنه لا يرد فقط ما سرق بل انه يفعل شيئا أكثر حماقة . . . . .

إنه ينتحر!

ركضت خلفه أحاول ايقافه هتفت به أن يتوقف لكنه لم يستمع اليَّ ، أراه واقفا بين السماء والأرض ينظر في اتجاه الشرق يخاطب أحدا لا أراه و هو مبتسم :

– جيدالا . . . أيتها الشمس الغاربة عن جسد معلق بين السماء والأرض

جيدالا . . . يا من حملت السعادة بكفيها ورحلت عن جسد لا يعرف معنى الفناء

جيدالا . . . أيتها الحياة الأبدية أما آن لشمسك الزرقاء أن تشرق من جديد

كنت أهتف فيه وأحاول ان أثنيه عما يفعل دون جدوى

فقط ابتسامته تزداد اتساعا يمد يديه للأمام كأنه يحتضن شخصا ما بينما ألاحظ الأرهاق والألم على ملامحه

– جيدالا . . . . كم أعشقك بل أذوب فيكِ عشقا وصمت سيدروك

صمت للأبد

صمت فقط لكن لم يسقط فجاذبية الأرض أضعف من جاذبية جيدالا التي تحمله بين ذراعيها هذا ما يوحي به انعقاد ذراعيه على جسد ليس له وجود . . . مات سيدروك واقفا وسيظل واقفا ما بقي الخلود لن تحويه أرض ولن يلمس أبدا السماء روح

حوت النقائض فلا تصعد للسماء ولا تطمث في الأرض .

ظللت أراقبه تحت الأمطار قليلا في منظره المهيب بوجهه الأزرق المشوه من جراء الحروق بعد أن ذاب عنه قناعه البشري المخادع

وأخيرا استطعت أن أجر أقدامي إلى الكامب مرة أخرى لأقف أمام الجهاز لأرسل رسالة أخيرة منه كما تعلمت من سيدروك

كتبت فيها:

– التجربة فشلت فجوف الأرض ليس جافا كما ظننا، بل يحمل أضعاف اضعاف ما يظهره سطحه

. . . لا تنتظروا عودتي فأنا أحتضر . . . وصيتي لكم ابحثوا عن كوكب آخر لا تؤذوا فيه أحدا

وقبل أن أغلق الأجهزة كلها نظرت إلى الشاشة لأرى سوسن تقف بجوار نافذتها تراقب المطر وعيونها أكثر إمطارا من السماء وقلبها أكثر ضجيجا من الرعد بينما ترفع يديها للسماء قائلة : أعده لي يا الله . . . . أعده لي

راقبتها ودموعي تترقرق قبل أن أغلق الأجهزة كلها لتعود الأرض من جديد لما كانت عليه قبل تلك التجارب الغريبة . . . ربما لم ينته الاحتباس الحراري و ربما سترتفع حرارة الأرض مرة أخرى لكن الآن

أشعر أنني أنقذتها

***

جيدالا . . . يا زهرة أينعت في غير موسمها فأنتِ زهرة كل المواسم

جيدالا . . . . كم أعشقك بل أذوب فيكِ عشقا

***

بدأت البحث عن المخيم كي أجد صديقي محسن نائما فأيقظته لم يتذكر أي شيء مما حدث له ولي لم يتذكر سيدروك واتباعه بل لم يتذكر نظراته ولم أجد في نفسي القدرة أن أقص عليه أي شيء ، فلقد كنت أريد العودة سريعا

تعجب محسن من إصراري على العودة لكنه لم يعارضني وعدنا أدراجنا الى المدينة

لم أذهب الى المنزل مباشرة كنت أريد أن أشتري هدية لسوسن ، قمت بشراء بوكيه ورد بديع المنظر وركضت نحو المنزل يسابقني قلبي قبل أشواقي ، تفاجئت سوسن بعودتي قبل ميعادي بأربعة أيام بينما لم أتفاجىء بحالتها المزرية من بكاء ووحشة أكثر من ثلاثة أيام . . .

الآن يا معشوقتي آن لدموعك أن تتهي وآن للسعادة ان ترى بيتنا الصغير .

ابتسمت واقتربت منها حاملا الزهور، بينما هي

ازدادت دهشة فلم تلحظ أبدا مني ذلك الجانب الرومانسي في الفترة الأخيرة

قالت لي : ما اسم تلك الأزهار ؟

-ربما كان اسمها جالو

-جالو؟ ما ذلك الإسم الغريب لا أعرف أزهارا تدعى كذلك ، و أنا التي كنت أظنني خبيرة في عالم الأزهار

- بل أنتِ خبيرة حقا في عالم الأزهار يا حبيبتي فأنتِ من تمنحينها الندى ، و أنا الذي لا أدري ما اسم تلك الأزهار لكنها بالتأكيد ليست سوسن

-ولماذا لم تأتِ بسوسن

- بل أتيت بها

أمسكت أناملها بأناملي وحين تعانقت الأنامل شعرت

كأن الحرارة والأمن تنتقل من اصابعها إليَّ كأنني طفل

صغير ينتظر لمسة أمه قبل أن أضع أصابعها على

موضع قلبي وأقول : سوسن هنا

وتعالت ضحكاتنا طويلا جدا .

***

جيدالا . . . أيتها الحسناء أخبريني كيف تتلاقى

الأرواح في أجساد أبلتها الحياة

جيدالا . . . يا من حملتِ أسرار العشق ورحلت

بعيدا الى كوكب آخر بحثت عنك في كل الكواكب

حتى وجدتك

جيدالا . . . أكثر ما أعانيه الآن هو أن جسدي

معلق تظله سماء غير سمائك داخل كوكب غير

كوكبك

جيدالا . . . كم أعشقك بل أذوب فيكِ عشقا

تمت

2011 /11 /13

مين

أخميم 2007 م

-مرحبا حسن بيه قد أنارت طلعتك بيتي

المتواضع

هكذا قال الحاج سلامة لضيفيه فقد كان احدهما

هو حسن بيه النائب البرلماني الشهير بفساده

وتجارته في الآثار اما الرجل الآخر فمن الواضح

انه شخص مهيب له عيون صقر يُخشى النظر

اليها مع لون بشرته السمراء يوحي اليك انه صنع

من الليل بكل سماره وهيبته

هتف حسن بيه :

– اشكرك ايها الحاج الصالح اقدم لك الشيخ عتمان ، حسنا لن اذكر ديباجة طويلة او أي شيء سأدخل في الموضوع مباشرة ، اننا قدمنا في خير كبير لك ، فالشيخ عتمان هو من اكبر المشايخ الذين يستطيعون التكهن بأماكن الآثار و ما ان مررنا بجوار بيتك حتى قال لي ان هناك شيء ما تحت منزلك شيء ثمين جدا ربما كان مقبرة وربما كان كنزا فلماذا لا تدعنا نحاول ان نصل لذلك الشيء الذي ربما يجعل منك رجلا ثريا .

انفرجت اسارير الحاج سلامة ربما آن للحياة ان

تبتسم له ربما سيصير ثريا فهو يعرف حسن بيه جيدا ويعرف مدى خبرته وعلاقاته بشيوخ ينقبون عن الآثار ويعلم جيدا انه لن يأتي ويتحدث الا اذا كان متأكدا ان تحت منزله المتواضع كنز ، لذلك وافق الحاج سلامة على الاقتراح دون تفكير

هنا نطق الشيخ عتمان لأول مرة تحدث بصوته العميق كأنه قادم من اعماق بئر سحيق قائلا :

– هذا سيستدعي ان أبيت هنا ليلة حتى أتيقن من أتباعي أي مكان بالضبط ننقب عنه

وافق الحاج سلامة وبالفعل جهز غرفة في المنزل للشيخ عتمان ، الذي أغلق غرفته عليه و ظل

يتلو بعض التعاويذ حتى دنا موعد صلاة الفجر

في تلك الاثناء تعالى صوت قرآن من الشقة

المجاورة ففزع عتمان ونادى على الحاج سلامة

وحين اتى اليه سأله عن مصدر الصوت

قال له الحاج سلامة : انه ابن اخي محمود في

الشقة المجاورة حيث تعود كل يوم يقرأ وردا من

القرآن قبل الفجر

عتمان : قرآنه أفزع أتباعي قل له ان يكف في

تلك الليلة عن القراءة

تعجب الحاج سلامة ولأول مرة يشعر انه يفعل

شيئا مريعا واثما عظيما فاليوم الذي لا يتردد بين

جدران بيته القرآن بالتأكيد هو يوم لا يرضى فيه الله عنه لكن حلم الثراء كان أعظم لديه من يوم لا يرضى فيه الله عنه ، لذلك ذهب ونادى محمود وطلب منه الكف عن تلاوة القرآن بصوت عال لأن لديه ضيف يريد ان ينام . . أذعن محمود لعمه وصنع ما أمره

بعد بضع ساعات قليلة خرج عثمان من غرفته ومر في فناء البيت الى ان وصل لجزء بجوار الجدار وقال :

– هنا الكنز ، لكن لا تحفر إلا ليلا سأذهب الآن وتابع مع حسن بيه، واعلم انك لن تستطيع أن

تبيع ما تجد إلا عن طريق حسن بيه فالزم اتفاقنا .

في المساء أعد الحاج سلامة عدته وبدأ يحفر في ذلك المكان يضرب بفأسه في ارض المنزل و مع كل ضربة فأس يتولد بداخله حلم جديد . . . سأصبح من الأثرياء أخيرا سأودع مقاعد الفقراء سأهجر تلك البلدة و أذهب الى مكان لا يعرفني فيه احد حتى ابدأ صناعة حياة جديدة دون ان يسألني من فيها من اين لك هذا ، ضربات الفأس تتوالى بجوار الجدار وفوق الارض ربما سقط الجدار ومن بعده المنزل لكنه ما زال في غيبوبته

يحلم بالملايين يحلم بالزواج من زوجة جديدة صغيرة في السن ربما تستطيع ان تنجب له ابنا ذلك ما فشلت فيه زوجته ورفيقة حياته ، و مازال يضرب بالفأس حتى رأى هوة ضخمة في الارض انه اشبه بسرداب قفز داخله حاملا مصباحا يدويا انه غرفة في باطن الأرض تقدم فيه هناك تابوت اقترب من التابوت وفتحه كانت فيه مومياء وبجوار المومياء هناك مقتنيات ذهبية وتماثيل صغيرة وايضا توجد ورقة بردي طولها لا يتجاوز المتر ومكتوب عليها بلغة غير معروفة حملها وخرج سريعا من المقبرة .

الآن صرت ثريا يا سلامة لكن انت تعلم ان حسن بيه سيعطيك أقل من حقك كثيرا . لذلك نادى الحاج سلامة على ابن اخيه محمود الذي تخرج منذ بضع سنين في كلية الآداب قسم آثار قبل ان يعمل مدرسا و لذلك هو يعرف تلك اللغة الغريبة وسيعلم ما الذي كتب علي البردي .طلب محمود من عمه ان يترك له الورقة حتى يراجع كتبه ويترجمها جيدا وربما اخذ ذلك منه يوما .

جلس محمود على منضدته واعد كتبه وبجوارها كوب الشاي الصعيدي المغلي ثم أخرج ورقة البردي والغريب انه وجد الكلام يتصاعد الى

عقله سريعا لم يكن بحاجة الى كتبه فقط أخرج ورقته وظل يكتب . . . .

(أيها الآله مين العظيم يا من انقذت شعبا من الفناء حين خرج الرجال جميعا للحرب وتركوا مدينتهم، مجرد بيوت ونساء وذكريات شاحبة، لم يكن للنسوة ملاذ غير النهار. و رجل مبتور الذراع والساق لا يمكن الاحتماء برجولته ، هكذا ظنوا . . .لكنهم لم يعلموا أن هذا الرجل هو أنت يا سيدي . . وعندما لم يعد الرجال من حروبهم. . قامت النسوة ببناء بيت كبير لك فأنت صرت حلم كل امرأة ،وأصبحت زوجا

لهن جميعا و أنجبت منهن جميعا جيشا آخر ، عندما عاد الرجال من الحرب وجدوا شعبا من ابنائك . . ايها الآله العظيم كيف ظنوا ان ذراعك وساقك المبتورين سيمنعاك ان تصنع المجد لشعبك كيف ظنوا ان فقرك وضيق يدك سيمنعاك ان تكون آلها . . . . . (١)

لذلك يا مولاي اتخذناك آلها وعبدناك فمن مثلك ، الغيرة منك هي من دفعت اوزوريس للوشاية بك

(١) اسطورة الإله مين حقيقية وتمت عبادته في بعض مناطق الصعيد مثل اخميم بسوهاج

لدى رع . . اوزوريس ذلك الكائن الضعيف الذي اعتمد على امرأة كي تنقذه ، كي تعيده للحياة يا له من تافه ،كيف يتساوى في الربوبية من فتن النساء وسادهن وساقهن إليه بمن ينتظر ان تمن عليه النساء بالحياة ، الرب لا ينتظر الحياة من امرأة ، كم هو فقير وكم انت عظيم .لكن رع انساق خلف هواجسه و أمر اوزوريس بأن يعقد لك محاكمة كما يفعل دوما مع الموتى بصفته الها للموتى . . دخلت سيدي قاعة محاكمته يجلس اوزوريس على عرشه بجواره ايزيس ونفيتس واربعة عشر نائبا ويتوسط القاعة ميزان عظيم

يحرسه وحش ضخم بينما انبو (2) وتحوت

جالسين بجوار الميزان . . . . مولاي كل مريديك

يعلمون زيف اوزوريس الذي صاح بك : لا أعلم

كيف يؤلهون من خان الامانة ان مريديك

لاشخاص تزدري منهم الشياطين

فرددت عليه سيدي قائلا : انما كنت انقذ شعبا

حرمته الحرب من رجاله وحفظت نسائه من فتنة

كانت لتصيبهن .

---

(2)انبو باللغة الهيروغليفية هو انوبيس و هو دليل للموتى المؤخرين

وحارس الدنيا السفلي

صرخ اوزوريس بغضب : بل علمتهم المجون ونشرت في بلادهم الرزائل لذلك ارى انك يجب ان تذهب للعالم الآخر

كم كنت هادئا سيدي وانت تجيبه : لكنني مازلت حيا و روحي باقية

لكن اوزوريس بقي على غيه وهو يقول : كيف لمن اعمته الشهوة ان تصبح روحه طاهرة حية

فقام اوزوريس بوضع قلبك الطاهر في الميزان و في الكفة الأخرى وضع تمثال لآلهة الحقيقة معات كما يفعل دوما ، باعثا فينا أنه يتأكد أن المتهم يقول الحقيقة وانه لم يظلمه ولكننا نعلم انه يرسل

اشارة الانقضاض للوحش الذي هو مزيج بين التمساح وفرس النهر والاسد بالهجوم على من يخشى و من يكره لذلك هجم الوحش عليك يا سيدي . لكن ما أرق اوزوريس هو انه حاكم آلها حيا ولم يحاكم ميتا لذلك لم يدري ما يفعل بروحه فوضعها في صندوق واحكم غلقه .

سيدي الآله مين العظيم نحن كهنتك والمقربين لديك وانت حامي ديارنا و زارع بداخلنا خصوبة نهر ، وقوة الأفراس لذلك قتلنا الدنيا بحث من أجلك كي نجد ذلك الصندوق ووجدناه في معبد اوزوريس اللعين استطعنا

استخلاص روحك من ايدي كهنته الخبيثة .

لكننا لم نستطع ان نفتح الصندوق كأنك سيدي لم تسمح لنا باعادتك الى تلك الدنيا التي لا تليق بك لتبق في ملكوتك الخاص في الحياة الابدية .

عديدون منا حاولوا دون ان يستطيعوا .وتلك الكلمات المكتوبة على الصندوق تفزعهم (ان كنت تحمل روحا طاهرة فقط ، فأنت تستطيع فتحه)

و مرت السنين و القرون بينما كهنتك ومحبيك يتناوبون على خدمتك وحراسة روحك حتى

اتى يوم خرج فيه اثنا عشر الف ساحر من مدينتك المخلصة خنتامين (3) ليناظرون رجلا من بني اسرائيل يدعى موسى فانتهت المناظرة بأن انتصر موسى وآمن به هؤلاء السحرة فباءوا بغضب من الحاكم . فخافت سيدي كهنتك ان يبطش بمعبدك اتباع الفرعون انتقاما من تلك المدينة التي اخرجت هؤلاء السحرة فحمل الكهنة صندوق روحك ووضعوها تحت حراسة بعض الجن في معبدك الموقر لا يعرف أحد فك سر طلاسم الوصول للصندوق فقط كهنتك يستطيعون ، يتوارثون

(3) خنتامين : هي مدينة أخميم و معناها بيت الآله مين

السر كاهن بعد كاهن بينما انا آخر كهنتك سيدي.

لا أجد تلميذا جديدا أعلمه كهنوتك أضناني البحث عمن يحمل السر واضطهاد بطليموس السابع لنا جعل الناس ينفضون عن عبادتك انا آخر من يعلم فضلك في تلك الارض لذلك كتبت تلك الورقة حتى تستطيع أن تأتي بمن يحمي روحك من بطش الإغريق او تأتي بمن يعيدك للأرض من جديد .

هناك تحت تمثال ميريت آمون وعلى بعد خمسين خطوة منه شرقا يوجد المجد فليتلو من تقوده إليك تلك الترانيم (يا من حملت للأرض مجدا لا يعلوه مجد انت حق خير من ان تصفه ألسنة المذنبين وتضيق به

قلوب العاشقين يا سيد النهر والشجر يا مانح قوة و

قدرة البشر اتيت لروحك ابتغي من حكمتك العليا

ان استلهم معرفة حقيقة الامر)

ثم يبدا بالحفر وسيجد الصندوق الذي لا يستطيع

فتحه الا من يملك روحا طاهرة كما يتفهم اوزوريس

معنى الروح الطاهرة لا كما نعرفها نحن

خادمك المطيع و آخر كهنتك

سنخ موي)

****

التمعت عينا محمود لذلك الاكتشاف العظيم الذي

حصل عليه إن ذلك الاكتشاف ربما يصنع مجدا خاصا له يعيده للمجال الذي درسه وأحبه – مجال الآثار – فهو لم يجد نفسه كمدرس أخيرا سيستطيع التزوج من غادة سيتحقق حلم السنين بعد ان يتم ذلك الاكتشاف الذي سيجمع له المال الوفير .

لذلك لم يتوانى محمود عن السعي للبحث عن المجد المفقود صندوق أثري يحوي روح آله ياللمصريين القدماء كيف يؤمنون بآلهة لها ارواح تحبس داخل صناديق . .بالتأكيد لن تكون هناك روحا داخل الصندوق بالتأكيد سيكون هناك شيئا آخر، شيئا يستحق السعي من أجله ، مهما كان ذلك الشيء فهو

تراث استطاع ان يخدع البسطاء من ذلك الشعب قرونا وقرون ، بالتأكيد في ظل تلك المدينة التي اشتهرت بالسحر ان يكون ميراثها ساحرا .

حمل معوله و أدواته وذهب لتمثال ميريت آمون وتحت أقدامها بدأ يعد خطواته ثم يتلو ترانيمه وبدأ الحفر منذ آلاف الأعوام هناك سر تحت تلك التربة ،آلاف الأعوام من تراكم التراب والغبار ، آلاف الأعوام مرت على تلك البلد تتناقل من فرعون الى فرعون وما زالت – بالرغم من تواتر الاغريق والروم والانجليز والفرنسيين – يحكمها الفراعين . ماذا تغير في تلك البلاد ومجدها مغبون تحت التراب نحاول ان ننبشه

لنعيده للحياة . ضربات المعول المتوالية كصفعات تلقاها ذلك الشعب طويلا وكضربات السياط على ظهور من نطقوا كلمة حق فيها او أرادوا ان يحاربوا فساد حسن بيه وغيره ، ومع كل ضربة ينظر الى تمثال ميريت آمون الذي اكتشف عام 1981 كان التمثال مكسور الساقين كأشياء كثيرة في تلك البلد كسرت وسلبت في نفس العام. بعد ليلة طويلة من الحفر أخيرا اصطدم معوله بشيء ما ازاح التراب والغبار ليرى حقيقة امر تلك البلد وتزول العتامة عنها كي يرى ضوئها القابع في بطن ارضها الذي لم يكن عاقرا قط . ارض تحتضن مجدها ولا تتركه حتى وان

نسي شعبها ذلك .

أمسك بالصندوق الخشبي الغريب الذي هو عبارة عن غطاء وجسم الصندوق بلا اقفال فقط كتب عليه بالهيروغليفية (ان كنت تحمل روحا طاهرة فقط ، فأنت تستطيع فتحه)

كان يملؤه حبور وفرحة طاغية لقد توصل لاكتشافه العظيم الذي قد يجعله عالما كبيرا في المجال الذي احبه وتعلمه هذا لو احتفظ بالصندوق مغلق، لكنه الفضول . . . ذلك الوباء البشري والمرض المتغلغل في غريزة الانسان انها شهوة الفضول التي جعلته يسأل نفسه هل روحي طاهرة؟ بالتأكيد لن أعرف الا اذا

جربت ان افتحه .

أمسك الغطاء وبكل قوته نزعه من الصندوق لينفتح الصندوق ومن فرط قوته التي استعملها للفتح سقط محمود على الأرض . بينما أنفه تشتم رائحة غريبة تغزوها ثم تتغلغل في كل جسده يشعر بتنميل في جسده . أي سحر هذا ؟

-لقد تملكتك شهوة الفضول . . وما دامت شهوة امتلكتك فأنت ملكي (هذا الصوت أتاه من داخله هو يشعر بذلك)

بكل رعب وذهول وخوف تحدث محمود الى نفسه :

من أنت و أين أنت ؟

-أنا بداخلك أسير في عروقك بل أتملكك أما عن اسمي فهو مين آله الخصوبة والشهوة

-لكن ذلك مستحيل لا توجد آلهة تموت وتحيا وتغتصب النساء وتنشر الرزيلة

-فلترى ما يمكنني أن اصنع حتى تصدق حاول ان تقوم مثلا . . لن تستطيع فأنت اصبحت ملكي .

لم يستطع محمود القيام وعرف حجم الكارثة التي اصابته لقد سكنت بجسده روح شهوانية حقيرة وهو ضعيف لا يقوى على مقاومتها لذلك كان (مين) هو من قام أخيرا أصبح كامل الجسد له ذراع وساق لم يصبح مبتور الساق او الذراع ، الآن يستطيع ان يعود

من جديد في زمن جديد .

بدأ مين يذاكر ذكريات الجسد الذي يتملكه، عرف اين يسكن واين تعلم عرف مدى حب محمود لوالدته ومدى علاقته بعمه الحاج سلامة عرف تلك التي تملكت قلبه و فجرت بداخله انهار العشق وبنت قصور الهوى إنها غادة الرائعة ، لم يكن مين يظن أن هناك شيء اسمه عشق كل معرفته بالحب هو ما فعلته إيزيس بعدوه اللدود اوزوريس ، لذلك حين خطرت على عقله تلك الفكرة أصابه الغضب الشديد فقد ذكرته بمن كان سببا في سجنه آلاف السنين .

عاد (مين)بجسد محمود إلى البيت ليجد الحاج سلامة في انتظاره يسأله اين كان وماذا فعل بورقة البردي؟

ابتسم مين ابتسامة خبيثة قبل أن يقول : إن كنت تريد المال، سأمنحك مالا وفيرا

واشار اشارة غامضة الى ركن الغرفة ليجد الحاج سلامة أكواما من النقود ملقاة بجوار باب الغرفة لم يصدق نفسه ذهب نحوها ظل يحصي المال الذي بلا عدد ، الآن يستطيع ان يتزوج امرأة اخرى كي ينجب ويصبح أبا فالعمر يمضي سريعا ويأخذ القوة والقدرة على ذلك ، لم يكن يدري أن مين يقرأ افكاره بسهولة -عماه . . . إن كنت تشتهي الأطفال والإنجاب

فيمكنني ان اعالج ذلك الأمر ، ادنو مني

وهمس مين في أذن الحاج سلامة بشيء ما ، ليجد

نفسه قد اصابته نوع من القوة البدنية لم يكن يدري انه

يمتلكها و ركض الى زوجته ليطلقها ويبحث عمن

عمرها نصف عمره كي يتزوجها و تمنحه حلم العمر .

في تلك الأثناء بينما كان الحاج سلامة يعدو خارجا

من المنزل باحثا عن فتاة توافق وستوافق على الزواج

منه بعد ان اصبح من اثرى الاثرياء . كان حسن بيه

يدخل البيت ليجد مين داخل جسد محمود

-ما بال عمك يا محمود ؟ لماذا يجري كالمجانين؟

قرأ (مين) أفكاره وعرف شهواته و فهم من أين

يستطيع أن يجعله عبدا له ، انه حب الجاه والمال فمثل حسن بيه لا يحيا بعيدا عن دائرة الضوء او يحيا اقل قدرا وسعة مما تعود

-لقد اتيت من أجل ما وجده عمي من آثار أليس كذلك ؟ (هكذا قال مين)

حسنا سأمنحك أغلى أثر لن تجده أبدا مهما بحثت ، حرك يديه في الهواء ليمسك بجوهرة غريبة المظهر قال:

-إنها جوهرة رع التي أعطاها للآله مين اعترافا له بفضل ما صنع ، وانقاذه لخدمه من الفناء ، قبل ان يشي به اوزوريس ، خذها و اذهب الى من يملكون

الأمر وشاركهم فيها كي تحصل على نفوذ أكبر

وصدقني هي ستكفيكم وتزيد إنها ثروة طائلة .

لمعت عينا حسن بيه فالآن تتحقق أحلامه وانطلق

يعدو كالمجنون

صرخ محمود بداخل (مين) :

-ما الذي تفعله ؟ إنك تستعبدهم وتصنع مجتمعا

شهوانيا . فلماذا تترك روحي هكذا لماذا لا تقتلني؟

-الامر ليس شخصيا يا محمود بالرغم أنني أدين لك

بفضل عودتي للحياة، لكنها شهوة السادية استمتع

وانا أراك هكذا تتعذب وأنا امتص منك حياتك

وذكرياتك، وربما اسلبك كل شيء حتى غادة ، لكن

شهوة النساء لم تعد تطربني كثيرا هناك شهوة أكبر

بداخلي هي شهوة الانتقام من اوزوريس

-لكن لماذا تستعبدهم هكذا

-استمتع وأنا أراهم مجرد ذئاب تلهث خلف القطيع لتفوز به بل إنهم أقل من الحيوانات فللحيوانات أرواح ، وهؤلاء تكاد أرواحهم تتلاشى

-أنت من يقول ذلك؟ ألست مثلهم؟

-نعم مثلهم بل أنا كبيرهم لذلك استمتع و أنا أراهم مثلي، فقطيع الذئاب الذي صنعته يكبر ويكبر،أتدري أن الشهوة وحش ؟ إذا اقتنص روحك سيجعل منك غولا ، لا يمنعك شيء من الوصول الى مبتغاك حتى و

إن كنت مبتور الساق والذراع

-اللعنة . . . ماذا صنعت بنفسي ،كل ذلك لأنني

استسلمت للفضول دقيقة؟

-وما الحياة الا دقيقة يا هذا وشهوة واحدة قد تقتل

روح .

****

كانت غادة قلقة ومتوترة فهذه اول ليلة منذ خطبتها

لمحمود وهو لم يتصل بها ليطمئن عليها ويبثها أشواقه

الحارة ،أول ليلة تنقطع فيها أمطار الحب وأسلاك

الوصل لذلك كانت غاضبة . كان الوقت يمر بطيئا

وهي ملقاة على السرير تحتضن الهاتف بذراعيها

تنتظر لحظة رنينه بقلق وشغف ، فكرت أن تقوم هي بالإتصال إلا أنها لم تجرؤ فهي ما زالت صعيدية ، و إن كان والدها سمح لمحمود ان يتصل بها كل ليلة لثقته في أخلاقه فهي غير مسموح لها بالمرة أن تتصل به هكذا كانت فلسفة الأب لم تعلم ما الفارق لكنها أوامر يجب ان تطاع. انتظرت وانتظرت دون ان يشفي الهاتف غليل أشواقها بصوته المحبب إلى القلب ، وبينما هي كذلك حتى أتاها النوم من حيث لا تدري

رأته في المنام خائفا مرتعبا كأن هناك وحش خلفه يهم بأن يغرس الأنياب في عنقه

-ليس هناك وقت لأقص عليكِ كل شيء فهو يتملك أنفاسي ويتملك جسدي تسرب إلى روحي حتى يخرسها لكنه لم يستطع ان ينتزعك من قلبي يا حبيبتي الغالية يجب ان تسمعيني جيدا

و قص عليها بايجاز ما حدث منذ أن أعطاه الحاج سلامة ورقة البردي

-لا أحد يستطيع ان يستخلص جسدي منه الا شخص واحد ،اوزوريس ، ولا أحد يمكنه ان يساعدني غيرك فاذهبي غدا الى ابيدوس حيث معبد اوزوريس و ستعرفين كيف توقظينه . ولا تنسي يا حبيبتي انني اعشقك وان عشقك هو ما

يبقيني حيا فافعلي ذلك من أجلي .

استيقظت غادة فزعة لا تعرف ما رأته هل كان حقيقة ام حلم ام هو حلم اقرب للحقيقة ام حقيقة اقرب للحلم، لكنها غريزة العاشقين التي جعلتها تؤمن ان ما رأت كان رسالة ويجب ان تنفذها عليها الذهاب لابيدوس الآن . وأين تقع تلك الابيدوس بدأت البحث في كتبها حتى عرفت انها مدينة غرب البلينا على مشارف محافظة قنا لذلك بدأت رحلتها الى معبد اوزوريس

****

-لماذا فعلت ذلك ؟ ولماذا اتيت بغادة ؟ (هتف محمود غاضبا وهو يتحدث مع مين)

-لأنها الوحيدة القادرة على ايقاظ اوزوريس و كما قلت سابقا لقد جربت كل الشهوات وخبرتها الا شهوة الانتقام التي تتملكني الآن

-لكن هذه غادة طفلة بريئة في رقة الندى حين يلامس الزهر اما كان يجدر بك ان تدعها ؟

-يجدر بي؟ يبدو انك لا تعلم ان قاموس الشهوات لا يوجد بها تلك الجملة فان كان هناك ما يجدر بي لما كانت هناك شهوة ، هيا بنا لنلحق بطفلتك البريئة

****

حمل صندوقه الخشبي فهو ينتوي أن يصنع باوزوريس ما صنعه به في الماضي ويحبسه داخل سجنه الذي

قضى به قرونا

وذهب الى أبيدوس حيث معبد اوزوريس ينتظر في مكان خفي وصول غادة .

ووصلت غادة لتقف وسط المعبد لا تدري ماذا تفعل فقد قال لها محمود في منامها انها ستعرف كيف توقظ اوزوريس لذلك جلست لحظات في ارض المعبد تفكر ماذا تفعل قبل ان تنتابها الافكار والخواطر . .

محمود هناك سجين في جسده الذي يملكه وحش شهواني ، آه كم من جسد امتلكته الشهوات لتسجن الروح بعيدا في غرفة موصدة ، آه يا محمود كم اشتاق إليك ، ليلة أمس مرت عليَّ كأنها ألف ليلة وارانى

اليوم شهرزاد تقص على شهريارها بؤس الليالي الظلماء بدونه . أين أنت يا شهرياري كيف تسمح لروحك أن تسجن في جسد غير جسدي؟ كيف أصبحت اسيرا لهوى غير هواي؟ والآن انا مطالبة ان اوقظ آلها ليس له وجود انما هو مجرد اسطورة .

أتدري يا محمود لولا انني اثق بك كما لم يثق احد بأحد لما اتيت الى هنا دون ان اخبر احد ، و أنت تعلم أي جرم هذا ، اقترفه ، لكن كل جرم في سبيل تحريرك يهون، وانت يا اوزوريس يا من جمعت اجزائك المتناثرة انثى مثلي حملها الهوى ان تسافر اياما وليالي تنتقل من مدينة الى أخرى كي تجمع اجزاء

جسمك لتسكنها روحك

جمعت اجزائك ومزجتها بدموعها التي تحمل روحها لتتعانق الارواح فأرجوك استيقظ من أجل قلوب أفناها الهوى وقتلها العشق و لكن اسرتها الشهوة ،ارجوك قم من غفلتك وهب من نومتك فهو ينتظرك في غرفته الموصدة ينتظرك حاملا المفتاح لتطلق سراح روحه

كان (مين) ومحمود يراقبانها من بعيد وهي بتلك الحالة كان محمود يريد ان يصرخ بها انه بجوارها فلا يستطيع كان يريد ان يجهش بالبكاء فلا يستطيع بينما كان مين مستمتعا بعذابها و عذابه .

لم يستطع محمود ان يبكي بينما هي من انخرطت في البكاء لتتناثر دمعاتها على ارض المعبد لتصنع خيطا طويلا يبلل جفاف المعبد ، لم تصنع دموعها نهر النيل كايزيس ولكنها صنعت نهرا في ارض متشققة جافة لتهتز الرؤية بعينيها فلم تلحظ تلاشي الجدران الذي يتبعه ضوء ساطع قوي قبل ان يهدأ الضوء كاشفا عن رجل قوي يخترق الضوء هاتفا : من تكونين ايتها الايزيس ؟ ولماذا تبكين ؟ الا تعلمين ان لبكائك ينفطر قلبي؟ لماذا ايقظتيني من سباتي لا بد انه أمر جلل

لم تستطع غادة ان تنطق بينما كان الصوت قادما من

خلفها إنه صوت محمود لكنه ليس كلامه كان يقول :

– اخيرا التقينا من جديد يا اوزوريس حان وقت القصاص

-مين؟ لقد نما لك ساقا و ذراعا وجسدا وسيما ، من يكون صاحب ذلك الجسد المسكين؟

-بل سيقان و أذرعة ، الآن لن يحميك مني انوبيس او تحوت او اربعة عشر نائبا لقد صرت اقوى كثيرا بينما اصبحت انت وحيدا

اوزوريس : لست وحيدا فهناك فتاة باكية و خلف جسدك هناك روح طاهرة فلو لم تكن طاهرة ما استطاعت فتح الصندوق

مين : هل تعتمد على هؤلاء ؟ لقد اصبحت مثيرا للشفقة يا اوزوريس وتعتمد على فقراء مثلك يبدو انني سأستمتع كثيرا وانا أقضي عليك .

اوزوريس : ليسوا فقراء فمن يملك روحا بريئة وقلبا نقيا بالتأكيد يملك الحياة . . ايها الرجل لا تستسلم له فانه لا يستطيع الظفر بك ابدا ، ما لم تستسلم له او لشهواته

هنا تدخلت غادة تحدثت هاتفة : محمود يا من علمتني الحياة كن حيا من أجلي. قاوم يا عشقي الأبدي قاوم من أجلنا ، قاوم كل حاكم طاغ اراد ان يتحكم بجسدك ويجعلك عبدا لشهوتك و شهواته ،

قاوم يا من علمتني ان النضال حياة والاستسلام

موت .

كان محمود يستمع لكلامها ولا يفهم ما يجب عليه عمله لكن هناك اصرار للمقاومة ينمو بداخله و إعادة بناء الأمل في قلبه وهذا ما شعر به مين ، ودفعه الى محاولة اسكاتها بالقوة ، لذلك صفعها ثم أراد ان ينهي مقاومة محمود للأبد ، فهجم عليها ليقبلها ويوقعها ارضا ويمزق ثيابها بينما هي لا تقوى على مقاومته كل ذلك بجسد محمود الذي كان هو الجسد الذي تمني فيه نفسها بأن تستسلم له يوما ، و لكنها لم تكن عيني محمود التي تخبر كل دهاليزها ، لذا هتفت : استيقظ

يا محمود انقذني ارجوك

هجم اوزوريس على مين ، فركله ليبعده عن جسد غادة عندما أبعده أعاد إلى (مين) روح الانتقام ، لذا لوح (مين) بيده في الهواء لتحمل سيفا ابيضا قويا وهذا ما فعله ايضا اوزوريس ليبدأ القتال بين آله الخصوبة و آله الموتى لتدوي السيوف في جدران معبد اوزوريس بابيدوس لتعكس حرب الآلهة .

كانت مبارزة قوية وبدت ان الغلبة كانت لصالح مين الذي صار اقوى من ذي قبل بفضل جسد محمود بينما محمود لاول مرة منذ تملكه مين يشعر ان قبضة مين قد تراخت عنه فتركيز مين الشديد كان في قتال

اوزوريس فشهوة الانتقام الجامحة لا تعادلها شهوة وتملك كل ذرات روحه . لذلك بدأ ذهن محمود يصفو ليعرف ما يجب عليه فعله

تذكر عمه الحاج سلامة حينما طلب منه ان يكف عن قراءة القرآن في ذلك اليوم الغاشم ، ففهم ان طريق الشهوات لا ينقطع الا بالذكر لذلك بدا بتلاوة القرآن لتتقوى روحه بالإيمان و يستطيع مقاتلة مين بالسلاح الوحيد الذي يملكه . . الإيمان.

حين بدأ محمود تلاوة بعض الآيات انتبه مين الى أن محمود يحاربه من الداخل و أوزوريس يبارزه من الخارج، فبدا عليه الارتباك لم يستطع الصمود طويلا

وهو يقاتل في جبهتين، حاول اسكات محمود في الصراخ بوجهه إلا أنه لم يتوقف بينما هجم عليه اوزوريس فجرح جسد محمود جرحا قويا لتخور قواه و يسقط ، ليقف اوزوريس فوقه ويستغل ضعف جسد محمود الذي يسكنه مين في تلاوة تعاويذه وترانيمه ليستخلص روح مين الشهوانية من جسد محمود ويحبسها مرة أخرى في الصندوق ، ثم وضع الصندوق بجوار جسد محمود المنهار التي جرت نحوه غادة بارتياع وهي تهتف : لا ترحل يا محمود لا ترحل

ابتسم اوزوريس قائلا : لا عليكِ يا حفيدة ايزيس انه

لن يرحل

ثم خاطب محمود :

-عندما تصبح بخير عليك ان تخبىء ذلك الصندوق في مكان لا يصل اليه احد يستطيع فتحه . وعندما تصبح بخير عليك ان تؤمن ان لإيزيس هذه قلب من ذهب لا يستحقه الا من يعف الذهب .

ثم تلاشى جسد أوزوريس لتعود جدران المعبد لسابقها ، بينما تحامل محمود على غادة التي حاولت ان تستر ما قطع من ملابسها لتحمله بعيدا عن المعبد وبدأت رحلة العودة الى أخميم و عندما عاد إلى المنزل رأى الحسرة على وجه عمه لكنها ما لبثت ان

تحولت الى ارتياع حين رأى الدماء تنزف من ابن اخيه فهرع الى مداواته و اتى بملابس لغادة التي رحلت بعد ان اطمأنت على حال حبيبها . حين استيقظ محمود قص على عمه قصته بالكامل وقال له عمه إن الاموال التي اعطاها له مين تحولت الى مجرد أوراق بينما قوته الجسدية خارت تماما ويبدو انه لن ينجب ، لكن هذا لا يمنع أن له ابنا سيغنيه عن حلم الانجاب ،ابن اسمه محمود .

اصبح محمود رسول غرام بين عمه وطليقته التي اخبرها بكل شيء فسامحت الحاج سلامة وعادت مرة اخرى الى عصمته فذكريات الاعوام لا تتلاشى

في جنون لحظة .

بينما كان حسن بيه يحمل جوهرته ذاهبا لمن يملك الأمر ليقدمها له ليصبح ذا نفوذ و مال واسع وبينما ينظر المسئول ويقلب الجوهرة في يده تحولت الجوهرة الى حجر يابس ، هكذا تتحول دوما في أيديهم الجواهر لأحجار يابسة ، حينها اراد ذلك المسئول الكبير ان يجعل حسن بيه يصمت ولا يخبر أحد عما حدث خوفا من ان يصبح ذلك المسئول نذير شؤم تتحول في يده الثروات الى أحجار ، لذلك كان مانشيت الأخبار في الصحف في اليوم التالي هو حضور مندوب للمسئول الكبير جنازة حسن بيه

الذي قتل في ظروف غامضة بينما كافة أصابع الاتهام تشير الى أن القاتل مختل عقليا .

بعد ذلك بأيام قام الحاج سلامة و محمود بتسليم المقبرة التي في بيتهما لهيئة الآثار التي قامت بالبحث و التنقيب عما ورد في ورقة البردي بحثا عن الصندوق دون أن يجدوه ولكنهم وجدوا بدلا منه معبدا ضخما اكبر من معبد الكرنك مرتين ونصف هو معبد مين .

بينما ما زالا العاشقان يتبادلان حديثهما عن الشوق والعشق بلا انقطاع وكان حبهما يعلو ويعلو دوما ويطير بهما الى سماء بعيدة وفي كل مرة كان محمود يسألها :

اين أجد ذلك المكان الذي لا توجد به روح طاهرة ، لاطمئن أنني خبئت الصندوق في مكان لا يستطيع ان يفتحه احد ، ولكن في كل مرة لا يجيبه الا الصمت والحيرة ، لكن غادة في إحدى المرات قالت : اعتقد ان المكان المناسب هو قصر الرئاسة

ضحك محمود قائلا :

-ما يدريني ، ربما أتى يوم عليه تسكنه روح طاهرة .

ومازالا يفكران في مأوى للصندوق حتى تلك اللحظة دون جدوى .

تمت

27/10/2011

فهرس

إهداء .....

تقديم .....

جيدالا .....

مين .....